المبحث الثالث

أطوار حُسْن التعليل

لابد من تتبع تاريخ هذا الفن والأطوار التى مر بها حتى استوى مع بقية الفنون البلاغية الأخرى فى تكوين وتأليف دوحة البلاغة الباسقة الأغصان ، الوارفة الظلال، الدانية الجنى والثمار .

وسأتتبع - بعون الله تعالى - ذلك محاولا - قدر الطاقة - استكناه حقيقة وجوده ومشيراً إلى جذوره الأولى عبر عصور الأدب لدى الشعراء والأدباء ، وفى عصور التدوين والتأليف البلاغى .

* * *

(أولا) فى العصر الجاهلى

هل توجد لهذا الفن أصول فى هذا العصر ؟ أم أنه وجد بعد ذلك ونما ؟

فى الحقيقة لا يمكن القطع بأن هذا الفن لم يوجد فى ذلك العصر مطلقا ، لأن القول بذلك يتطلب من الباحث الاطلاع على كل ما حدث وقيل فى ذلك العصر من نتاج أدبى وهذا بالطبع مستحيل لأنه شىء فوق الطاقة والجهد الفردى .

وإنما يمكن القول بأنه ربما لم يوجد - على الأغلب - بصورته التى هو عليها الآن لدى علماء هذا الفن ، وذلك على ضوء الأسباب الآتية وحسبما أشار إليها بعض العلماء والباحثين والتى من أهمها :

١ - إن العرب كانوا بفطرتهم يميلون إلى الصدق فى شعرهم ونثرهم عند نقل أحاسيسهم وتصوير ما يجرى حولهم وما يعن لهم من أمور الحياة وشئون الطبيعة المحيطة بهم ، وما كانوا يلجأون إلى الكذب ، بل كانوا لا يمدحون الرجل إلا بما هو

فيه ، بل ولا يذمون أحدا بصفة ليست له[1] ، ولذلك كانت لهم قصائد عرفت بالمنصفات وقد اعترف بذلك الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » ، وابن سلام فى كتابه : « طبقات فحول الشعراء » .

وحسن التعليل إيهام بالكذب - كما يرى الإمام عبد القاهر - للاعتماد فيه على الصنعة والخيال ، بل يعد من أبعد حدود الكذب الفنى الذى يلجأ إليه الشاعر باحتجاج يخيل وقياس يصنع فيه ويعمل[2] ، والشعراء الجاهليون ما كانوا يميلون إلى ذلك لما جبلوا عليه من الصدق فى الخيال[3] .

٢ - الجاهليون ما كانوا يصنعون إلا المشاهد المحسوسة ولا يتكلمون إلا فى الواقع الملموس ، فهم كانوا إذا لجأوا إلى تشبيه وأجادوا فيه ، فإنما كان مرد ذلك عندهم إلى أنهم يعيشون عالم الحس والمشاهدة ، وذلك لأن من أهم الخصائص التى تميز الشعر عندهم الانطباع البصرى[4] ، أى « إنهم يلتمسون موادهم الفنية من حياتهم القريبة لا يكدّون أذهانهم كثيرا ولا يوغلون فى التنقيب عن الصور وإقامة العلاقات بين ما تقع عليه حواسهُم وما لا تقع[5] .

فلم تكن عندهم القدرة مطلقا على الغوص فى بحار المعانى العميقة والأخيلة الغريبة الغزيرة التى ينتزعون منها شيئا »[6] ، فالخيال عند العربى القديم كان يعتبر

---

(١) ينظر : إعجاز القرآن ص ١٣٤ الباقلانى ، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر ط بيروت سنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

(٢) ينظر : أسرار البلاغة ٢ / ١٢٨ ، ١٢٩ ويقول الإمام عبد القاهر : « وستمر بك ضروب من التخييل هى أظهر أمرا فى البعد عن الحقيقة تكشف وجهه فى أنه خداع وضرب من التزويق » ، ينظر : أسرار البلاغة ٢ / ١٣٦ .

(٣) ينظر : حسن التعليل ص : ١٠ ، ١١ .

(٤) ينظر : حسن التعليل ص : ١١ والشعر الجاهلى ١ / ١٠٨ د. محمد النويهى ، العصر الجاهلى ص ٢١٩ . د. شوقى ضيف .

(٥) ينظر : الرحلة فى القصيدة الجاهلية ص : ٦٥ د. وهب رومية . مؤسسة الرسالة بيروت .

(٦) ينظر : العصر الجاهلى ص : ٢٢٠ ، ٢٢١ د. شوقى ضيف ، ط دار المعارف ، مصر .

حقيقة فى أول نشأته ولا يعد خيالا بالمعنى المتعارف لدى علمـاء النقد والبـلاغة[1] و« حسن التعليل » اختراع جميل وخيال رائع قائم على الغوص فى المعانى وإيجاد العلاقات بين ما تقع عليه الحاسة وما لا تقع باحتجاج يخيل وقياس يصنع فيه ويعمل وذلك مغاير لطبيعة العربى الذى جبل على الصدق فى الخيال .

ومن أجل ذلك يمكن القول :

(أ) إن الباحث فى كل كتب القوم التى دار التأليف فيها حول ألوان البديع وأصباغه يجد أنها لم تستشهد لحسن التعليل بشىء من الشعر الجاهلى[2] ، ومن المعلوم بالضرورة لدى العلماء أن الشعر الجاهلى أقوى من غيره فى الاستشهاد لأبواب عديدة من أبواب البلاغة ، وذلك كما فى باب التجريد ، واستشهادهـم بقـول الأعشى :

ودع هريرة إن الركب مرتحـل وهل تطيق وداعا أيها الرجل[3]

وكذلك استشهادهم فى باب المبالغة المقبولة ، بقول امرىء القيس :

فعادى عداء بين ثـور ونعجة دراكا فلم ينضـح بماء فيغسل[4]

إلى غير ذلك مما هو مبثوث فى كتب القوم .

(ب) الناظر فى كتب القدماء ممن ألفوا فى البلاغة : كأبى هلال العسكرى وابن رشيق القيروانى يجد أنهم لمن يذكروا ذلك النوع المسمى بحسن التعليل مع أنهم ذكروا غيره من الفنون الأخرى، ثم إن المتأمل فى كتاب « الصناعتين » ، لأبى هلال العسكرى ، ليجد أن « حسن التعليل » قد وقع فى موضعين من الكتاب ، ومع ذلك لم يشر إليه ولم يذكره بمعناه الاصطلاحى .

---

(١) ينظر : الخيال عند العرب ص ٢٣ أبو القاسم الشابى .

(٢) ينظر فى ذلك : الإيضاح - بغية الإيضاح ٤ / ٥٢ ، المطول ص ٤٣٦ ، الكافية البديعية ص : ٢٨٣ ، طراز الحلة : ٥٦٣ ، نفحات الأزهار ص : ٦٨ ، خزانة الأدب ٢ / ٣٩١ الحموى .

(٣) ينظر : الإيضاح بغية الإيضاح ٤ / ٤٦ . (٤) السابق ٤ / ٤٨ .

● **الموضع الأول** : فى قول الشاعر :

أتتنى تؤنبنى بالبكـــــــاء فأهلا بها وبتأنيبهـــــــا
تقول وفى قولها حشـــــمة ترانى بعين وتبكى بهـــــا
فقلت إذا استحسنت غيركـــم أمرت الدموع بتأديبهـــــا

يقول أبو هلال فى تعليقه على تلك الأبيات : « ترانى بعين وتبكى بها حسن الوقع جدان[1] » ، والمتأمل للبيت الثالث من هذه الأبيات يرى أن حسن التعليل قد وقع وفيه ، كما يقول الخطيب القزوينى : « وذلك أن العادة فى دمع العين أن يكون السبب فيه إعراض الحبيب أو اعتراض الرقيب ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب لا ما جعله من التأديب على الإساءة باستحسان غير الحبيب »[2] ، فأبو هلال لم يشر إلى شىء من ذلك فى تعليقه .

● **الموضع الثانى**: فى عقد أبى هلال فصلا بعنوان : « فى الاستشهاد والاحتجاج » فى كتابه المذكور ويعرف ذلك الفصل بقوله : « هو أن تأتى بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجرى مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته »[3] ، ويسوق أمثلة منها قول الشاعر :

فلا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخـــوافى قوة للقـــوادم[4]

والملاحظ أن جميع ما ساقه أبو هلال من الأمثلة فى هذا الباب موزع بين ما عرف : « بحسن التعليل » و « التشبيه الضمنى » و « المذهب الكلامى »[5] ، ونبه أبو هلال على التشبيه فى أمثلة هذا النوع فقال « ويدخل أكثر هذه الأمثلة فى التشبيه أيضا »[6] ، ومع ذلك لم يذكر مصطلح « حسن التعليل » ولم يشر إليه .

ومثل ذلك - أيضا - ما ضمنه القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى وهو ينتقد

---

(١) ينظر : الصناعتين ص : ٤٦٨ .

(٢) ينظر : الإيضاح - بغية الإيضاح ٤ / ٥٥ ، وفيه رواية أخرى للبيت الثانى :
تقول وفى قولها حشمة أتبكى بعين ترانى بها

(٣) ينظر : الصناعتين ص ٤٣٤ .

(٤) الفاء للسببية وهى تفيد التعليل ، وإن لم يفصح أبو هلال عن ذلك .

(٥) ينظر : الصبغ البديعى ص : ١٧٤ . د. أحمد موسى .

(٦) ينظر : الصناعتين ص : ٤٣٧ .

المتنبى فى كتابه « الوساطة » فيقول : فهذا مقدار اختراعه وهذه طريقة ابتداعه فإن زاد عليه وتجاوز قليلا اضطر إلى تعقيد اللفظ وفساد الترتيب واضطراب النسج ، فصار خيره لا يفى بشره ، وجرمه يزيد على عذره ، ثم لم يظفر فيه بمعنى شريف وإنما هو الإفراط والإغراق والمبالغة ، ويذكر نقدت أمثلة منها قول المتنبى :

لم يحك نائلك السحاب وإنما حُمَّت به فصبيبها الرحضاء[1]

ويعلق على هذا البيت قائلا : « وهل زاد على أن جعل السحاب حم فأفرط »[2] ، والمتأمل فى هذا التعليق يجد أنه منصب ومركز على الإفراط فى الاستعارة، وهو أن جعل السحاب يصاب بالحمى، وليس لذلك صلة بحسن التعليل ، مع أن البيت من شواهده المعروفة عند علماء البلاغة ، فهو لم يتعرض أيضا - لحسن التعليل ولم يشر إليه .

● **شبه وردّها :**

توجد شواهد فى الشعر الجاهلى توهم أن فيها « حسن تعليل » ، وأنه يمكن الاستدلال بها على وجود هذا اللون البديعى فى الشعر الجاهلى ، ولكن من يدقق النظر يجد أنها ربما تكون ليست من « حسن التعليل » وإنما مما يلحق به ، أو أنه يوجد شك فى نسبتها إلى الشعر الجاهلى ، من ذلك على سبيل المثال :

١ - قول النابغة الذبيانى فى مدح بنى غسان :

إذا ما غزوا بالجيش حلّق فوقهم عصائب طير تهتدى بعصائب

جوانح قد أيقن أن قبيله إذا ما التقى الجيشان أول غالب[3]

والناظر فى هذين البيتين يرى أنه لا يتحقق فيهما « حسن التعليل » لأن الشاعر قال : « إذا » وهى تفيد الشرط والتعليق ، وحسن التعليل - كما هو معلوم - لابد

---

(١) هذا البيت من الشواهد المشهورة لحسن التعليل عند علماء البلاغة ، ذكره الإمام عبد القاهر عند حديثه عن التخييل المعلل ، والخطيب القزوينى فى كلامه على حسن التعليل ، ينظر أسرار البلاغة ٢ / ١٣٨ ، الإيضاح - بغية الإيضاح ٤ / ٥٢ .

(٢) ينظر : الوساطة ص : ١٨٠ ، ١٨١ القاضى الجرجانى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٣) ينظر : ديوان النابغة الذبيانى ص : ١٠ نشر المكتبة الثقافية بيروت .

وأن يدعى الشاعر فيه تحقق العلة ، ثم إن الشواهد التى أوردها العلماء فى استشهادهم لحسن التعليل خالية من « إن ، إذا ، لو »[1] ، فقول النابغة هذا لا يعد من حسن التعليل وإنما مما يلحق بحسن التعليل .

بل ذهب العلماء إلى رفض أن يكون ما فيه « كأن » ، وما بنى على التعجب ، من « حسن التعليل » وألحقوهما به ، وذلك لأن الأمر فيهما مبنى على الشك[2] .

وربما يعترض معترض بأن « لو » قد وردت فى بيت شعرى يعد من الشواهد البارزة لحسن التعليل فى كتب البلاغة ، وهو البيت الفارسى الذى ترجمته :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتطق

ولكن من يتأمل هذا البيت يجد أن « لو» فيه ليست لامتناع الجواب لامتناع الشرط بل للاستدلال على انتفاء الشرط لأن حملها على الأول يجعل خدمته علة لانتطاق من الجوزاء ، وهذا غير مراد ، فهى إذن امتناعية فيها معنى النفى وهى داخلة على « لم » النافية ، ونفى النفى إثبات فلا شرط إذن ولا تعليق[3] .

وبهذا يتضح عدم وجود حسن التعليل فى قول النابغة السابق ، وإنما هو مما يلحق به .

٢ - جاء ما يفيد - أيضا - وقوع حسن التعليل فى الشعر الجاهلى وذلك فى قول بشر بن عوانة العبدى فى قصيدته التى أولها :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا[4]

وذلك حين مخاطبته الأسد وقوله :

نصحتك فالتمس يا ليث غيرى طعاما إن لحمى كان مرّا[5]

---

(١) ينظر : حسن التعليل ص ١٥ .

(٢) ينظر : الإيضاح - بغية الإيضاح ٤ / ٥٦ ، ٥٧ ، وهذان البيتان من قصيدة مشهورة للنابغة ولو كان فيهما حسن تعليل لاستشهد بهما العلماء بل ولقدموا صاحبهما على المتنبى .

(٣) ينظر : الإيضاح - بغية الإيضاح ٤ / ٥٦ ، حسن التعليل ص ١٥ .

(٤) ينظر : شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى ص : ٤٦٢ . محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٣٤٢ هـ .

(٥) السابق ص ٤٧٣ ، وفى البيت رواية أخرى ذكرها شارح المقامات وهى :

نصحتك نصح ذى شفق فحاذر مرامىّ لا تكن بالموت غرّا

هذا البيت فيه حسن تعليل ، ومع ذلك لا يعد من شواهد حسن التعليل فى الشعر الجاهلى وذلك لأن بشر بن عوانة إنما جاء ذكره فى المقامة البشرية لبديع الزمان الهمذانى فى العصر الجاهلى .

ومن المعلوم لدى النقاد والدارسين أن المقامات إنما هى قصص خيالى من اختراع بديع الزمان ، وهى محشوة بمسائل غاية فى الغرابة ، و « بشر » هذا ليس إلا شخصا وهميا جعله بديع الزمان بطلا لروايته تلك ، فالقصة من أولها إلى آخرها مختلقة ، كما أن بشرا هذا لم يرد له ذكر فى كتب الشعر [1] .

ثم إن من يتأمل قصيدته تلك يجد أنها لا تتفق مع روح العصر الجاهلى وملامحه ، وإنما تتفق مع روح وملامح العصر العباسى .

وبذلك لا يكون هذا البيت أيضا من شواهد « حسن التعليل » التى وقعت فى العصر الجاهلى .

٣ - ورد بيتان فى معلقة عنترة فى إحدى روايات الديوان وهما :

ولقد ذكرتُك والرماح نواهـــــل منى وبيض الهنـــد تقطر من دمى

فوددتُ تقبيل السيوف لأنهـــا لمعت كبارق ثغرك المتبســـم [2]

وهذان البيتان أيضا لا ينهضان دليلا على وقوع هذا اللون الفنى فى الشعر الجاهلى وذلك لما يأتى :

(أ) وقوع الاختلاف فى روايتهما ، حيث رواهما بعض العلماء ، ولم يروهما البعض الآخر كالتبريزى والقرشى والزوزنى ، فوقع الاختلاف فى روايتهما .

(ب) وقوع العلة فى هذين البيتين ليس أيضا على سبيل الإصرار والقطع كما هو شرط العلة فى حسن التعليل وذلك لأن الود من الأمنية [3] وهى تكون للأمر المستحيل الوقوع أو البعيد المنال .

---

(١) ينظر : فى ذلك : البيان والتبيين للجاحظ ، طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى ، طبقات فحول الشعراء لابن قتيبة الموشح للمرزبانى ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ، بلوغ الأرب للنويرى ، حسن التعليل ص ١٥ . ١٦ .

(٢) ينظر شرح ديوان عنترة ص ١٢٣ طـ : دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .

(٣) قال الفيروزبادى : ووددتُ الشىء أودّ وهو من الأمنية ، قال الفراء : هذا أفضل =

لذلك أرى أن العلة الشعرية فى هذين البيتين ليست من « حسن التعليل » وإنما يمكن أن تكون فيما يلحق به وذلك لعدم توافر الأمور التى يمكن أن تتحقق فيما يمكن أن يطلق عليه « حسن التعليل » .

ثم إنه ربما ذهب البعض إلى أن المذهب الكلامى الذى ذكره الجاحظ وابن المعتز أبعد عن روح الشعر من حسن التعليل ومع ذلك ذكر فى الشعر الجاهلى ، فكيف يحسن التعليل الذى هو من روح الشعر ؟ فهذا ينقض ما سلمت به .

ومع ذلك أقول إن هناك فرقا بين المذهب الكلامى وحسن التعليل ، وذلك أن المذهب الكلامى قائم على سوق الأدلة والعلل ، وحسن التعليل أيضا قائم على إيراد التعليلات الحسنة ، ولكنهما يختلفان فى نوع العلة المساقة ، فالتعليلات فى « المذهب الكلامى » ، تعليلات حقيقية ، قائمة على العقل والمنطق - كما هو معلوم من شواهده الموجودة فى كتب البلاغة - أما التعليلات فى « حسن التعليل » فهى تعليلات خيالية ، قائمة على التصوير والتخييل ، وذلك مخالف للطبيعة العربية التى ما كانت تذهب إلى الغوص فى بحار المعانى العميقة والأخيلة الغريبة الغزيرة التى ينتزعون منها شيئا[1] .

فأنا لا أقطع بعدم وجود هذا اللون البلاغى فى الشعر الجاهلى ، وإنما أرى أنه ربما لم يوجد على الصورة التى هو عليها الآن لدى علماء هذا الفن ، وهو مجىء الصورة فى أسلوب برهانى منطقى ، أو بمعنى آخر : الاحتجاج لفكرة ما عن طريق دليل يؤخذ من مضمون صورة بيانية[2] .

* * *

= الكلام ، وقال بعضهم : ودَدتُ وينقل منه يود لا غير ذكر هذا فى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم : ٩٦ : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ ﴾ أى يتمنى ...

(١) العصر الجاهلى ص : ٢٢٠ ، ٢٢١ د. شوقى ضيف ، علم البديع دراسة تاريخية وفنية القسم الثانى ص ١١٣ د . بسيونى عبد الفتاح فيود سنة ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٧ م .

(٢) ينظر الخيال الشعرى عند أبى الطيب المتنبى ص ١٩٣ د. طه مصطفى أبو كريشة .

(ثانيًا) فى القرن الثانى الهجرى

مع كل ما سبق لازال يختلج فى النفس سؤال مقتضاه : يا ترى من يكون أول شاعر تفتقت عبقريته وجادت قريحته بهذا الفن ؟ .

فى الحقيقة أنه كان يعيش فى القرن الثانى الهجرى شاعران كبيران كان لهما عظيم الأثر وجليله فى الاختراع والابتداع ، ودار حولهما الكثير من المناقشات والبحوث اللغوية والأدبية وهما : بشار بن برد المتوفى سنة ١٦٨ هـ ، ومسلم بن الوليد المعروف بصريع الغوانى المتوفى سنة ٢٠٨ هـ ، وقد اختلف العلماء حول أىّ من الشاعرين يكون هو شيخ المبدعين ؟ مع أنهما قد عاشا معظم حياتهما فى ذلك القرن .

ذهب بعض المحدثين إلى أنه يمكننا حتى نعود ونصل إلى نتيجة حاسمة فى الموضوع أن نقوم بمراجعة كتب البلاغة والنقد التى دار فيها الحديث حول هذا اللون البلاغى وحقيقته ، ونختار منها بخاصة كتاب « الإيضاح فى علوم البلاغة » للخطيب القزوينى ، لشهرته وذيوعه بين العلماء ولما يتسم به من ذوق أدبى بين كتب البلاغة لدى المتأخرين من العلماء ، وذلك فى دراسته « لحسن التعليل » فنلحظ أنه قد استشهد لهذا اللون البلاغى بقول مسلم بن الوليد :

يا واشيا حسنت فينا إساءته نجىّ حذارك إنسانى من الغرق

وجعل هذا البيت من أدلة النوع الثالث من أقسام حسن التعليل ، وبذلك الصنيع من الخطيب القزوينى[1] بعد مسلم بن الوليد أول من اخترع هذا اللون وابتدعه فى شعره .

ولكن ! نجد البا حثين المحدثين أيضا يذهب هو الآخر إلى أن أول مخترع لحسن التعليل ومستعمل له فى شعره هو الشاعر : بَشار بن برد ،ويستدل لذلك بما ورد فى عصر المأمون من أنه كان لبشار خمسة أصدقاء مات أربعة وبقى واحد وغرق فى النهر ، فرثاهم بشار بقوله[2] :

---

(١) ينظر : الإيضاح ، بغية الإيضاح ٤ / ٥٦ .

(٢) ينظر : شرح ديوان بشار بن برد ٤ / ١٩٩ ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، ط الدار التونسية بتونس .

يا ابن موسى فقـــد الحبيب على العيـ ـن قذاة وفى الفؤاد ســـــقام
كيف يصفو لى النعيم وحيـــدا والأخـــلاء فى المقـــابر هام
نفســـــتهم على أمّ المـــنايا فأنامتهـــم بعنـــف فنامـــوا

وإن من يدقق النظر فى البيت الأخير يرى فيه « حسن التعليل » الجميل الذى يفوق ما قاله : مسلم بن الوليد[1] ، ويعد ذلك من وجهة نظر هذا الباحث دلالة على سبق بشار ، ويكون بشار هو أول مستعمل لهذا الفن فى شعره[2] .

وأنا أرى أن هذا منهج سقيم لا يصح استخدامه فى البحث عن الوجود الإبداعى للتراكيب بالحضور الاستشهادى فى كتب البلاغة ، وذلك لأن هناك فرقا بين الوجود الاصطلاحى والوجود الإبداعى للفن ، وإنما يكون ذلك بالبحث فى أسفار الإبداع بمراجعة دواوين الشعراء ، وبخاصة الذين سبقوا بشارًا ومسلما واستقصائها والتفتيش فيها ، ثم بعد ذلك يكون الحكم .

* * *

(ثالثًا) فى كتب البلاغة والنقد

أول من فتق أكمام هذا اللون وعنون له من العلماء هوالعلامة ابن سنان الخفاجى فى كتابه سر الفصاحة[3] ، وذلك حيث يقول : « وأما الاستدلال بالتعليل فكقول أبى الحسن التهامى :

لو لم تكـــن ريقته خمر لما تثنى عطفه وهو صاح

وقوله :

لو لم يكن أقحوانا ثغر مبسمها ما كان يزداد طيبا ساعة السحر[4]

---

(١) وذلك حيث جعل الشاعر العلة الشعرية فى موت أصحابه هو منافسة المنايا فى صحبة هؤلاء الأحباب ، هذا والناس يتخيلون الموت يختار النفائس ويقولون : إنما يعجل بخياركم ، وقد سبق إلى ذلك النبيه فقال : والموت نقـــاد على كفه دراهم يختار منها الجياد ينظر : الديوان السابق .

(٢) ينظر : حسن التعليل ص : ٣٤ .

(٣) ينظر سر الفصاحة ص : ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

(٤) وذلك أن الشاعر قد ذكر أن العلة فى جعـل ثغرها أقحوانا هو زيادة طيبة وقت السحر .

وقول أبى عباده :

ولو لم تكن ساخطا لم أكن أذم الزمان وأشكو الخطوبا[1]

وقول ابن هانىء الأندلسى :

ولو لم تصافح رجلها الثرى لما كنت أدرى علة للتيمم[2]

وقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾[3] . جار هذا المجرى[4] .

وقد عالج الإمام عبد القاهر الجرجانى هذا اللون فى كتابه أسرار البلاغة ، ولم يعالجه على أنه لون من ألوان البديع ، وإنما على أنه من المعانى التخييلية ، وذلك فى الفصل الذى عنونه بقوله : « فصل فى الأخذ والسرقة وما فى ذلك من التعليل وضروب الحقيقة والتخييل»[5] .

وتحدث الإمام فى هذا الفصل عن التصرف فى المعانى وأنها تنقسم إلى :

معان تحقيقية ، ومعان تخييلية ، وقام بالتفرقة بينهما فأوضح أن المعنى الحقيقى: هو ما يشهد له العقل بالاستقامة وتتضافر التعلاء من كل أمة على تقريره والعمل بموجبه كقول المتنبى :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبـــه الدم

فمعنى هذا البيت مما تلقاه التعلاء بالقبول ووضعوه بمقدمة ما يتنافسون فيه من الحكم البالغة ؛ وكذلك اتخذه الأمراء الراشدون قاعدة يشدون بها ظهر سياستهم ، ويستندون إليها فى حماية شعوبهم ومن الذى يجهل أن حياة الأمم إنما تنتظم بالوقوف فى وجه من يتهافت به السفه على هدم شرفها والاستئثار بحقوقها ؟[6] .

---

(١) علق ابن أبى الإصبع المصرى على هذا البيت فقال: ... وجود سخط الممدوح هو العلة فى شكوى الشاعر الزمان . (تحرير التحبير ص ٣٠٩) .

(٢) علق ابن أبى الإصبع على البيت فقال : « وهذا من غلو ابن هانىء فلحى الله غلوه» تحرير التحبير . (٣) سورة الأنبياء : آية رقم ٢٢ .

(٤) ينظر : سر الفصاحة ص : ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ابن سنان الخفاجى . ط صبيح بمصر .

(٥) ينظر : أسرار البلاغة ٢ / ١٢٨ ، ١٢٩ وما بعدهما .

(٦) ينظر : أسرار البلاغة ٢ / ١٢٨ ، ١٢٩ ، الخيال وأثره فى الشعر العربى ص : ١٠ الشيخ محمد الخضر حسين .

وأن التخييلى : هو الذى يرده العقل ويقضى بعدم انطباقه على الواقع[1] .

وهو قسمان : معلل وغير معلل ، والتعليل عنده أعم من الاستدلال بالتعليل عند ابن سنان الخفاجى ، ومما عرف عند المتأخرين باسم « حسن التعليل » ، والتعليل عند الإمام هو محاولة الإقناع التى يقوم بها المبدع لتحظى صورته بالقبول لدى المخاطب ، لذا يعتمد عنده على التخييل[2] .

والإمام عبد القاهر فى تعرضه « لحسن التعليل » لم يبين حقيقته ولم يحرره على طريقة المتأخرين وإنما على أنه لون من ألوان التخييل وذلك حيث يقول : « وأما القسم التخييلى فهو الذى لا يمكن أن يقال إنه صدق وإن ما أثبته ثابت وما نفاه منفى وهو مفتن المذاهب كثير المسالك لا يكاد يحصر إلا تقريبا ولا يحاط به تقسيما وتبويبا ثم إنه يجىء على طبقات ويأتى على درجات »[3].

ثم يذكر منه ما يطلق عليه عند المتأخرين - من العلماء - اسم« حسن التعليل » فيقول : « فمنه ما يجىء مصنوعا قد تلطف فيه واستعين عليه بالرفق والحذق حتى أعطى شبها من الحق وغشى رونقا من الصدق باحتجاج يخيل وقياس يصنع فيه ويعمل ، ومثاله قول أبى تمام يمدح الحسن بن رجاء :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالى

فهذا قد خيل إلى السامع أن الكريم إذا كان موصوفا بالعلو والرفعة فى قدره ،

---

(١) ينظر: أسرار البلاغة ٢ / ١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، الخيال وأثره فى الشعر العربى ص٩ .

(٢) ينظر : عبد القاهر الجرجانى ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، أحمد أحمد بدوى ، البديع تأصيل وتجديد : ص ١٨٦ د . منير سلطان .

والتخييل عند عبد القاهر : « هو ما يثبت فيه الشاعر أمرا هو غير ثابت أصلا ويدعى دعوى لا طريق إلى تحصيلها ، ويقول قولا يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى » (ينظر أسرار البلاغة ٢ / ١٣٦) ، ويقول الشيخ محمد الخضر حسين : الخيال أو التخييل : هو القدرة على سبك المعانى وصوغها فى شكل بديع ، والمفكرة والمخيلة اسمان لقوة واحدة ، وهى التى تتصرف فى المعلومات بالتفصيل والتركيب ، وإنما تغير اسمها بحسب اختلاف الحال فعندما يكون زمامها بيد العقل يسمونها مفكرة ، وعندما تنفلت منه يسمونها مخيلة (ينظر الخيال وأثره فى الشعر العربى ص ١٢ ، ١٣) .

(٣) ينظر : أسرار البلاغة ٢ / ١٢٨ ، ١٢٩ .

وكان الغنى كالغيث فى حاجة الخلق إليه وعظم نفعه ، وجب بالقياس أن ينزل عن الكريم ، نزول ذلك السيل عن الطود العظيم ، ومعلوم أنه قياس تخييل وإيهام ، لا تحصيل وإحكام ، فالعلة فى أن السيل لا يستقر على الأمكنة العالية ، أنّ الماء سيال لا يثبت إلا إذا حصل فى موضع له جوانب تدفعه عن الانصباب، وتمنعه عن الانسياب ، وليس فى الكريم والمال شىء من هذه الخلال »[1] ، وذكر الشيخ محمد الخضر حسين أن ذلك النوع إنما يأتى بعد تعمق وبعد نظر[2] .

ثم يبين الإمام أنواعه الأخرى فيقول : « ونوع آخر : وهو أن يدعى فى الصفة الثابتة للشىء أنه إنما كان لعلة يضعها الشاعر ويختلقها إما لأمر يرجع إلى تعظيم الممدوح أو تعظيم أمر من الأمور ، فمن الغريب فى ذلك معنى بيت فارسى ترجمته:

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتطق

فهذا ليس من جنس ما رضى أعنى ما أصله التشبيه ثم أريد التناهى فى المبالغة والإغراق ، ويدخل فى هذا الفن قول المتنبى :

لم يحك نائلك السحاب وإنما حُمَّت به فصبيبها الرحضاء

لأنه وإن كان أصله التشبيه من حيث يشبه الجواد بالغيث فإنه وضع المعنى وضعا وصورة فى صورة خرج معها إلى ما لا أصل له فى التشبيه فهو كالواقع بين الضربين »[3] ، ويرى الشيخ محمد الخضر حسين أن هذا النوع من التخييل يكون الأمر فيه على البديهة[4] .

والإمام عبد القاهر يشترط عند النظر فى تلاقى المعانى وتناظرها فى التعليل المخيل : التدقيق ومراعاة التناسب من طريق الخصوص والتفاصيل ، وألا يكون إلى جمل الأمور ، وإلى الإطلاق والعموم ، وذلك حين يتحدث عن « الكلام فى وضع الشاعر للأمر الواجب علة غير معقول كونها علة لذلك الأمر » فيقول : « ومن لطيف هذا الجنس قول الصولى :

الريح تحسدنى عليـ ـك ولم أخلها فى العدا

---

(١) ينظر : السابق .

(٢) ينظر : الخيال وأثره فى الشعر العربى ص : ١٠ .

(٣) ينظر : أسرار البلاغة ٢ / ١٣٩ .

(٤) ينظر : الخيال وأثره فى الشعر العربى ص : ١٠ .

لمـا هممت بقبلـــة ردت على الوجه الردا

وذلك أن الريح إذا كان وجهها نحو الوجه فواجب فى طباعها أن ترد الرداء عليه وأن تلف من طرفيه ، وقد ادعى أن ذلك منها لحسدها وغيرة لمحبوبه ، وهى من أجل ما فى نفسها تحول بينه وبين أن ينال من وجهها ، وفى هذه الطريقة قوله :

وحاربنى فيه ريب الزمان كأن الزمان له عاشق

إلا أنه لم يضع علة ومعلولا من طريق النص على شىء بل أثبت محاربة من الزمان فى معنى الحبيب ، ثم جعل دليلا عليها جواز أن يكون شريكا له فى عشقه .

وإذا حققنا لم يجب لأجل أن جعل العشق علة للمحاربة وجمع بين الزمان والريح فى ادعاء العداوة لهما أن يتناسب البيتان من طريق الخصوص والتفصيل ، وذاك أن الكلام فى وضع الشاعر علة لذلك الأمر ، وكون العشق علة للمعاداة فى المحبوب معقول معروف غير بدع ولا منكر ، فإذا بدأ فادعى أن الزمان يعاديه ، ويحاربه فيه فقد أعطاك أن ذلك لمثل هذه العلة ، وليس إذا ردت الريح الرداء فقد وجب أن يكون ذلك لعلة الحسد أو لغيرها لأن رد الرداء شأنها فاعرفه ، فإن من حكم المحصل أن لا ينظر فى تلاقى المعانى وتناظرها إلى جمل الأمور ، وإلى الإطلاق والعموم ، بل ينبغى أن يدقق النظر فى ذلك ، ويراعى التناسب من طريق الخصوص والتفاصيل .

فأنت فى نحو بيت ابن وهيب .. وحاربنى .. الخ .. تدعى صفة غير ثابتة إذا هى ثبتت اقتضت مثل العلة التى ذكرها ، وفى نحو بيت .. الريح .. تذكر صفة ثابتة حاصلة على الحقيقة ثم تدعى له علة من عند نفسك وضعا واختراعا »[1].

فالفنان الأصيل عند الإمام عبد القاهر هو ذلك الذى يتجاوز ما يحضر العين إلى ما يحضر العقل ويجعل إحدى وسائله الفنية العبقرية الخيال التصويرى الذى يعتبره ضرورة من ضرورات العمل الفنى لإيضاح ما لا يستطيع التعبير العادى أن يؤديه ولرسم الصورة الإيحائية لأن قوة الإيحاء وسيلة يستطيع الشاعر بها أن يضيف إضافات جديدة على المعنى المصور بانتقاله من المدلول العادى للألفاظ إلى المعنى حين يجمع بين المتضادات ويصور ما ليس بواقع ولا مشاهد كأنه واقع مشاهد[2] .

---

(١) ينظر : أسرار البلاغة ٢ / ١٤١ ، ١٤٢ .

(٢) ينظر : الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجانى منهجا وتطبيقا ٢ / ٦٢١ د . أحمد على دهمان ، سوريا .

ويبين الإمام عبد القاهر أن ذلك اللون قد ينبنى على التشبيهات ويحظى فيها بضرب من السحر لا تأتى الصفة على غرابته ولا يبلغ البيان كنه ما ناله من اللطف والظرف ، فإنه قد بلغ حدا من المعروف فى طباع الغزل ، ويلهى الثكلان وينفث فى عقد الوحشة ، وينشد ما ضل عنك من المسرة ، ويشهد للشعر بما يطيل لسانه فى الفخر ، ويبين جهاة ما للبيان من القدرة والقدر . . . . » ثم يقول بعد ذلك : « ومما هو خليق أن يوضع فى تلك المنزلة ، ويلحق بها فى لطف الصنعة قول أبى هلال العسكرى :

زعم البنفسج أنه كعذاره ... حسنا فسلوا من قفاه لسانه[1]

لم يظلموا فى الحكم إذ مثلوا به ... فلشد ما رفع البنفسج شانه

وقد اتفق للمتأخرين المحدثين فى هذا الفن نكت ولطائف وبدع وظرائف لا يستكثر لها الكثير من الثناء ، ولا يضيق مكانها من الفضل عن سعة الإطراء ، فمن ذلك قول ابن نباتة السعدى فى صفة الفرس :

وأدهم يستمد الليل منه ... وتطلع بين عينيه الثريا

سرى خلف الصباح يطير مشيا ... ويطوى خلفه الأفلاك طيا

فلما خاف وشك الفوت منه ... تشبث بالقوائم والمحيا[2]

وأحسن منه صنعة قوله فى قطعة أخرى :

فكأنما لطم الصباح جبينه ... فاقتص منه وخاض فى أحشائه[3] »[4] .

ثم يعقد الإمام فصلا يقول فيه « وهذا نوع آخر من التعليل » : هو أن يكون للمعنى من المعانى والفعل من الأفعال علة مشهورة من طريق العادات والطباع ثم

---

(١) هذا البيت من شواهد القسم الأول لحسن التعليل ، وهو الذى يكون الوصف فيه ثابتا خفى العلة ينظر · بغية الإيضاح - الإيضاح ٤ / ٥٣ .

(٢) هذه الأبيات من شواهد القسم الأول لحسن التعليل أيضا وينظر السابق ٢/٥٣ ، ثم إن الشاعر لو عكس المعنى وجعل الصباح هو الذى يسرى خلف هذا الفرس فخاف أن لا يلحقه فتشبث بقوائمه ومحياه لكان المعنى أحسن ، ينظر : طراز الحلة ص ٥٦٥ .

(٣) هذا البيت من شواهد القسم الأول أيضا ينظر : طراز الحلة ص ٥٦٦ .

(٤) ينظر : أسرار البلاغة ٢ / ١٤٧ .

يجيء الشاعر فيمنع أن يكون لتلك العلة المعروفة ؛ ويضع له علة أخرى ؛ مثاله قول المتنبى :

ما به قتل أعاديه ولكن يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب[1]

الذى يتعارفه الناس أن الرجل إذا قتل أعاديه فلإرادة إهلاكهم وأن يدفع مضارهم عن نفسه ليسلم له ملكه ويصفوا من منازعاتهم ، وقد ادعى المتنبى ... أن العلة فى قتل الممدوح لأعدائه غير ذلك »[2] .

ويذكر الإمام عبد القاهر هذا اللون ويبين سر البراعة فيه قائلا : « واعلم أن هذا لا يكون حتى يكون فى استئناف هذه العلة المدعاة فائدة شريفة فيما يتصل بالممدوح أو يكون لها تأثير فى الذم لقصد المتنبى ههنا فى أن يبالغ فى وصفه بالسخاء والجود وأن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ، ومحبته أن يصدق رجاء الراجين وأن يجنبهم الخيبة فى آمالهم قد بلغت به هذا الجد فلما علم أنه إذا غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتسع عليها الرزق ويخصب لها الوقت من قتلى عداه كره أن يخلفها وأن يجنب رجاءها ولا يسعفها .

ومنه نوع آخر من المدح وهو أنه يهزم العدا ويكسرهم كسرا لا يطمعون بعده فى المعاودة فيستغنى بذلك عن قتلهم وإراقة دمائهم وأنه ليس ممن يسرف فى القتل طاعة للغيظ والحنق ولا يعنو إذا قدر ومايشبه هذه الأوصاف الحميدة فاعرفه»[2] .

ويقول بعد هذا القول : « ومن الغريب فى هذا الجنس على تعمق فيه قول أبى طالب المأمونى - من أدباء القرن الرابع الهجرى - يمدح الوزراء ببخارى :

مغرم بالثناء صبّ بكسب المجـ ـد يهتز للسماح ارتياحا
لا يذوق الإغناء إلا رجاء أن يرى طيف مستميح رواحا[3]

ويذكر أصل هذين البيتين وأنهما مأخوذان من قول الشاعر قيس بن الملوح :

وإنى لأستغشى وما بى نعسة لعل خيالا منك يلقى خياليا

---

(١) هذا البيت من شواهد القسم الثانى لحسن التعليل وهو الذى تظهر له فى العادة علة غير المذكورة ، (ينظر : الإيضاح - بغية الإيضاح ٤ / ٥٤) .

(٢) ينظر : أسرار البلاغة ٢ / ١٥٨ .

(٣) ينظر : السابق جـ ٢/ ١٥٨ ، ١٥٩ وهما من شواهد القسم الثانى من حسن التعليل ، وينظر كذلك : الإيضاح - بغية الإيضاح ٤ / ٥٤ .

ويوضح أن هذا الأصل غير بعيد أن يكون أيضا من باب ما استؤنف له علة غير معروفة إلا أنه لا يبلغ فى القوة ذلك المبلغ فى الغرابة والبعد عن العادة ، وذلك أنه قد يتصور أن يريد المغرم إذا بعد عهده بحبيبه أن يراه فى المنام ، وإذا أراد ذلك جاز أن يريد له النوم خاصة ماعرفه[1] ،فالإمام عبد القاهر قد ذكر هذا اللون بأمثلته التى بيّن حقيقتها العلمية وذكر باسم « حسن التعليل » ، وحرر مسائلها من جاء بعده من متأخرى علماء البلاغة[2] .

ثم وصل الأمر إلى العلامة الفخر الرازى الذى يعد أول من أطلق مصطلح « حسن التعليل » على ذلك اللون وعرفه بقوله : « فى حسن التعليل » : وهو أن يذكر وصفان أحدهما لعلة الآخر ويكون الفرض ذكرهما جميعا بقوله :

فإن غادرت الغدران فى صحن وجنتى فلا غرو لم يزل منه وابل يهمى[3]

وتابعه فى ذلك الزنجانى فى كتابه « معيار النظار » وكذلك العلامة ميثم البحرانى فى كتابه « أصول البلاغة » ولم يزيدا شيئا على التعريف بهذا الفن[4] .

وأما ابن أبى الإصبع المصرى فقد عرفه بقوله : التعليل : هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم علته قبل ذكره كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾[5] ، فوجود رهطه علة فى سلامته من قومه ... ، ومن الأمثلة الشعرية لذلك قول البحترى :

ولو لم تكن ساخطا لم أكن أذم الزمان وأشكو الخطوبا[6]

---

(١) ينظر : أسرار البلاغة ٢ / ٦٠ ، وكذلك الإيضاح - بغية الإيضاح ٤ / ٥٥ .

(٢) يقول الدكتور أحمد موسى : وهكذا إذا استعرضت أساليب حسن التعليل التى عرض لها عبد القاهر ووطىء عقبه فيها الخطيب ألفيتها من البلاغة فى أكرم محل وأعزّ مكان (ينظر : الصبغ البديعى ص ٤٨٨) .

(٣) وذلك حيث أثبت الغدران فى صحن وجنته بعلة أن الممدوح وابل يهمى ؛ والوابل الهامى : علة كذلك فى الغدران . (ينظر نهاية الإيجاز : ص٢٩٧ ، تحقيق د . بكرى شيخ أمين) .

(٤) ينظر : معيار النظار٢ / ١٥٥ تحقيق د . محمد على رزق ، ط دار المعارف بمصر ، أصول البلاغة ص ٩١ ، ٩٢ تحقيق د . عبد القادر حسين . ط . دار الشروق .

(٥) سورة هود : آية رقم ٩١ .

(٦) ينظر : بديع القرآن ص ١٠٩ ، تحرير التحبير ص ٣٠٩ ابن أبى الإصبع المصرى . تحقيق د . حفنى محمد شرف .

فيذكر أمثلة التعليل وحسن التعليل ولم يفرق بينهما ، مما جعل الدكتور أحمد موسى يقول معلقا على ذلك : وليس هو حسن التعليل الذى أسلفنا الحديث عنه[1] .

ويعرفه بدر الدين بن مالك فى كتابه المصباح بقوله : التعليل أن تقصد إلى حكم فتراه مستبعدا لكونه غريبا أو عجيبا أو لطيفا أو نحو ذلك فتأتى على سبيل التطرف بصفه مناسبة للتعليل فتدعى كونها علة للحكم لتوهم تحقيقه ، فإن إثبات الحكم بذكر علته أروح فى العقل من إثباته بمجرد دعواه » ، ومن أمثلته قول مسلم بن الوليد :

يا واشيا حســـنت فينا إساءته نجى حذارك إنسانى من الغرق[2]

وبعد بدر الدين أول من استشهد بذلك البيت ، وهو من شواهد القسم الثالث لحسن التعليل عند من جاء بعده من المتأخرين[3] .

ثم يستشهد بدر الدين بأمثلة هى بعينها أمثلة حسن التعليل وإن كان قد سماه بغير اسمه ، ويخلط أيضا فى الأمثلة بين ما يعرف بحسن التعليل وما يلحق به ، دون تقسيم حسن التعليل إلى الأقسام المعروفة عند من جاء بعده من العلماء[4] .

ثم جاء شهاب الدين محمود الحلبى وذكره باسمه المصطلح عليه الآن لدى العلماء وعرفه بقوله : « حسن التعليل : هو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف وهو على ضربين:

- **الأول** : أن الصفة إما ثابتة قصد بيانها أو غير ثابتة أريد إثباتها .
- **فالأولى : أن لا يظهر لها فى العادة علة ، كقوله :**

لم يحك نائلك السحاب وإنما حمّت به فصيبـــها الرحضاء

- **والثانية : تظهر لها علة ، كقوله :**

ما به قتـــل أعاديه ولكـــن يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب

---

(١) ينظر : الصبغ البديعى ص ٢٨٣ د . أحمد موسى .

(٢) ينظر : المصباح ص ٢٤١ بدر الدين بن مالك ، تحقيق د . حسنى عبد الجليل ط مكتبة الآداب .

(٣) ينظر : الإيضاح - بغية الإيضاح ٤ / ٥٦ .

(٤) ينظر : السابق ٤ / ٥٢ وما بعدها .

فإن قتل الأعداء فى العادة لدفع مضرتهم ، لا لما ذكره .

● **والضرب الثانى : إما ممكنة كقوله :**

يا واشيا حسنت فينا إساءته نجى حذارك إنسانى من الغرق

فإن استحسان إساءة الواشى ممكن ، لكن لما خالف فيه عقبه بما ذكر ، أو غير ممكنة ، كقوله :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليهـــا عقد منتطق

والحق به ما بنى على الشك ، كقول أبى تمام :

ربى شفعت ريح الصبا لرياضها إلى المزن حتى جادها وهو هامع
كأن الســـحاب الغرغيين تحتها حبيبا فما ترقأ لهـــن مدامع

وقد أحسن ابن رشيق فى قوله :

سألت الأرض لم جعلت مصلّى ولم كانت لنا طهرا وطيبـــا
فقالت غير ناطـــقة لأنى حويت لكل إنسان حبيبـــا

فشهاب الدين محمود الحلبى بذلك يعد أول من حاول تقسيم حسن التعليل إلى أقسامه المعروفة لدى العلماء الآن ، كما بين ما يلحق بحسن التعليل والسر فى إلحاقه به[1] ، وتابعه فى ذلك حرفا بحرف العلامة النويرى[2] .

ثم جاء الخطيب القزوينى وتعرض فى دراسته لهذا اللون وكان موفقا غاية التوفيق فى تعريفه له ذلك التعريف المختصر الجامع للأقسام فقال : « ومنه - أى من البديع - حسن التعليل : وهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقى » ثم وضح أقسامه الأربعة ، وذكر ما يلحق بحسن التعليل ، وتقيل فى ذلك الصنيع طريق الإمام عبد القاهر فى ذكره للأمثلة التى ذكرها الإمام مع توضيحها وشرحها[3] .

---

(١) ينظر : حسن التوسل فى صناعة الترسل ص ٥٥ شهاب الدين محمود الحلبى . ط الوهبية ١٣٥٥ هـ بمصر .

(٢) ينظر : نهاية الأرب ٧ / ١١٥ ، ١١٦ شهاب الدين أحمد النويرى ط . وزارة الثقافة والإرشاد القومى بمصر .

(٣) ينظر : أسرار البلاغة ٢/ ١٢٨ وما بعدها، الإيضاح - بغية الإيضاح ٤/ ٥٢ وما بعدها .

ولم يزد أحد ممن جاء بعد الخطيب شيئا على أقسام حسن التعليل ، وبذلك يكون هذا الفن قد استوى على سوقه ووصل إلى الصورة المثلى التى أهلت العلماء من بعده لأن يستكثروا من ذكر الشواهد والأمثلة الشارحة والموضحة لعناصر الجمال فى هذا اللون البديعى ومدى العبقرية فيه ، وذلك مثل ما فعل العلامة الرعينى ، والعلامة عبد الرحيم العباسى رحمهما الله تعالى[1] ، من القدماء وظل الأمر على ذلك حتى جاء من المحدثين من حاول التجديد فى بحث هذا الفن وإيجاد بعض الشواهد كما فعل الأستاذ : حسن سليم فى بحثه « حسن التعليل »[2] ، وكذلك الدكتور منير سلطان فى كتابه : البديع « تأصيل وتجديد » فبحثه تحت عنوان : «التعليل وطرافة التعليل »[3] .

* * *

(١) ينظر : طراز الحلة ص ٥٦٣ للرعينى ، معاهد التنصيص ٣ / ٥١ : ٥٨ للعباسى .

(٢) ينظر : حسن التعليل فى البلاغة العربية . حسن سليم طنطاوى . مطبعة صادق سلامة بالمنيا .

(٣) ينظر : البديع تأصيل وتجديد ص ١٨٣ . ومنير سلطان ط منشأة المعارف بالاسكندرية سنة ١٩٨٦ م .